

((بقلم القائد العربي المجاهد عبد الله التليل))

حاكم القدس سابقا

الزمان : الثلث الاول من القرن العشرين ، والمكان جزر "عزيز من ديار الصروة والاسلام هو الجزائر ،
وأوضاع البلاد السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية يصورها .

استعمار فرنسي عمره مائة عام ، قضى على كيان البلاد السياسي ، وادخل في روع الشعب
المستعمر ان الجزائر فرنسية لانها - بحسب رأيه - امتداد لارض فرنسا يفصل بينهما البحر ، وتخلخل
في نفوس عدد كبير من عرب الجزائر انفسهم فجعلهم بمختلف الوسائل ، يرددون دعوى فرنسا الفاجرة
ويناقدوا الصحيح المستبحر .

اقتصاد وطني منهارة ، بعد ان اغتصب الفرنسيين في مدى قرن كامل ملايين الافدنة من
الارض الخصبة ونهبوا موارد البلاد وخيراتنا ، واحتكروا التجارة والزراعة والصناعة ، وحولوا شعب
الجزائر الى قطيع من المبيد لا عمل له سوى تأمين رفاهية السادة المستعمرين ، وتموين فرنسا
بالخمر الذي يستقطر من اعناب كرم الجزائر ، وتموين غرب اوربا بالقمح الذي تنبتة حقول الجزائر .

وثقافة فرنسية استعمارية ، هدفها تخريب العقول والنفوس ، وتحطيم الشخصية العربية
الاسلامية ، والقضاء على اللغة العربية لانها لغة القرآن ، وانشاء الامية حتى زادت نسبتها في
الشعب الجزائري على ٩٠ ٪ ، وخلق الدسائس والفتن لتفريق الشعب واقناع البربر انهم جنس آخر
يختلف عن عرب الجزائر .

وحرب سافرة ظالمة لا رحمة فيها ولا هوادة ، تشبهها فرنسا " ام الحرية " على الدين
الاسلامي الذي يدين به الشعب العربي في الجزائر ، كما يدين به الشعب العربي في المغرب
وتونس وليبيا بلا استثناء ، وحتى اننا لا نكاد نجد جزائريا او مغربيا او تونسيا او ليبيا واحدا يدين
بشعر الاسلام ، والذين يعيشون في هذه البلاد من غير المسلمين هم من يهود الغرب ومسيحيهم .

ومع هذا فقد عمدت فرنسا طوال سني استعمارها للصحراء الى محاربة الاسلام في لغة الاسلام ،
لغة القرآن . كما حاربه بنشر الخرافات والبدع وتشجيع الزوايا والطرق التي يديرها مسلمون
من عملاء فرنسا مثل قدور بن غريبط ، وحاربه منذ اليوم الاول الذي دنست فيه اقدامها ارض الجزائر ،
بمصادرة اموال المسلمين واوقاف المسلمين ومصادرة وحولت بعضها الى كنائس .

وحاربه بيم جعلت من حكوماتها وحكامها اوصياء على الاسلام ، ووضعت القوانين التي تعلى
الادارة الفرنسية حق الاشراف على الشؤون الاسلامية ، وسيطرت بذلك على اركان الاسلام الاربعة ،
الصوم والصلاة والحج والزكاة .

فاصح الشعب الجزائري المسلم يصوم ويفطر ويعبد بحسب الاوامر الذي يلقيها المدير
الفرنسي . ويصلي وراء الائمة الذين يختارهم الحاكم الفرنسي من بين الخونة والجواسيس ويحسج
الى بيت الله الحرام بالرخصة الفرنسية التي لا تعطى الا بالرشوة ولعدد زهيد من افراد الشعب .
ويخرج بعضه في الخفاء ، زكاة رمزية ، لانه شعب فقير معدم ، ونهب الفرنسيين ووطنه
وشروات بلاده فلم يبق عنده مال يزكاه .

ولم تستطع فرنسا السيطرة على الركن الخامس وهو الشهادة ، لان الانسان قد يثلمها
في سره ومن غير ان يسمحها الجندي الفرنسي .

حاربت فرنسا الاسلام الذي جاء به القرآن الكريم وحمل رسالته محمد صلى الله عليه وسلم ،
واخترعت بدلا عنه اسلاما جديدا منبها على البدع والخرافات واسمه (اسلام جزائري) .
وفرنسا التي ادعت العلمانية ، وفصلت الدين عن الدولة رسميا سنة ١٩٠٥ لم تعرض فسيحي

الجزائري الا بالاشراف التام على الدين الاسلامي . ولم تسمح للمسلمين بممارسة شعائرهم الدينية
بحرية ، وحجرت على حرية الدين الاسلامي وآدابه وافكاره ، وفي الوقت نفسه اباحت نشر الفساد
والرذيلة والباحية والانحلال والكمثر والالحاد .

على مثل هذه الصورة الكثيية كانت الجزائر في الثلث الاول من القرن العشرين ، يوم قضت
 المنايا الالهية بتكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، لتقوم معركة التغيير الجذري في حياة
 الشعب العربي في الجزائر بقيادة العالم المرحوم عبد الحميد بن باديس ومن بعده شيخنا الجليل
 المرحوم محمد البشير الابراهيمي ، الذي ظل حاملا راية الجهاد اكثر من خمسة وعشرين عاما ، الى
 ان انتقل الى جوارحه في شهر المحرم المنصر ١٣٨٥ - مايو ١٩٦٥ .

ولقد كان البشير الابراهيمي بما وهبه الله من علم وفضل والمقام كامل باللغة العربية وآدابها
 وثقوبها واسرارها ، وقدرة خارقة على التوجيه والوعظ والاقناع خطابة وكتابة ، وبما اوتي من مواهب وطاقات
 هامة وفكرية وعملية وسياسية لا نظير لها ، مؤهلا لحمل راية الجهاد والذود عن شعب الجزائر
 المستعبد ومن دينه المضطهد . فحملها بشجاعة وامانة واخلاص في ظروف عصيبة واحوال رهيبية .
 فمن الناحية الجزائرية قاد البشير الابراهيمي حملة الإصلاح الديني لتطهير الاسلام من
 الخرافات والبدع التي الصقها به الفرنسيين واليهود وعملاءهم من العرب . وتولى مهمة تنوير العقول
 وتبصيرها بحقيقة الدين الاسلامي وآدابه وتاريخه ، ففضى على الدين الزيف الذي اخترعه الفرنسيين
 واسموه (اسلام جزائري) .

طالب بفصل الدين الاسلامي عن الحكومة ، اسوة بالدين المسيحي الذي تركت له الحرية
 التامة في ممارسة طقوسه وشؤونه . وندد بالسياسة الاستعمارية الغبية الغاشمة التي تربي من وراء
 بسط سيطرتها على الدين الاسلامي ، الى القضاء على الاسلام .
 طالب باعادة اوقاف المسلمين التي اغتصبها الفرنسيون على مر السنين ، وعدهم تجرؤ
 الاسلام من وسائل دعمه ونشره وبقائه .

طالب بحرية التعليم العربي . واعتبار اللغة العربية لفة البلاد الرسمية . كما طالب باستقلال
 القضاء الشرعي عن القضاء الفرنسي المهني على اسس تبنيح الرذيلة وتشجيع الانحلال .
 حارب الحزبية لانها اداة تزويق ، ودا ، وبيل ينخرني جسم الشعب ، وبخاصة الملمانية
 منها ، وتلك التي تشجع الكفر والالحاد . وكان رحمه الله بعيد النظر حينما اعتبر الحزبية اشهد
 خطرا على المسلمين من المستعمر نفسه .

سخر من سياسة فرنسا التي كانت تسعى الى التفريق بين العرب والبربر . واثبت ان الدماء
 البربرية التي مازجت الدم العربي في سلسلة من الزمن امتدت ثلاثة عشر قرنا قد اصبحت بربرية . واكد
 ان وحدة الشعب في الجزائر راسخة خالدة سداها وحدة الدم واللسان ولحمتهما الدين الواحد
 وروحانية الاسلام .

تحدى سياسة الاندماج التي نادى بها فرنسا بصفاقتها وحماعتها ، واثبت بشجاعته وقوة
 حجته وزيف دعوى فرنسا وسخف منقها . ودلل على عظمة الاسلام وطاقاته الكامنة التي تعصم شعب
 الجزائر المسلم من الانحلال والذوبان والاندماج .
 قام هيئات التبشير ومن وراءها سلطات الاستعمار ، واليهودية العالمية ، وثور الفاتيكان وبذله
 وسخائه .

تحدى للفتوى الفكرى الاستعماري الذي يشكك المسلمين في تاريخهم وتراثهم ، تصميها للقضاء
 على مقومات وجودهم ، وجعلهم كمية مهطقة في ميزان القوى العالمية .
 فعل البشير الابراهيمي بكل هذا واكثر منه في الميدان الجزائري الداخلي . واصاب نجاحا
 كبيرا في معركة اللغة العربية وتدريسها في مدارس الجمعية التي اخذت تتزايد يوما بعد يوم ، حتى
 ارت على ٤٠٠ مدرسة رضم بطش المستعمر وارهابه وجبروته ، ورغم القوانين الصارمة التي كانت تقضي
 بالقضاء القبرض على المدرس الذي يضيظ متليما بتعلم اللغة العربية ، بينما تعطى الحرية للمسارق والزاني
 والفاجر والافاق والمخرب .

ونجح الابراهيمي في ابراز الشخصية الجزائرية العربية المسلمة ، بعد ان اجالها المستعمر
 خيالا ووعها . ونجح في تجديد شباب الاسلام ، ووسع عنه الشبار الذي تراكم على مر السنين بفعل
 الاستعمار والتبشير .

ونجح الابراهيمى في خلق جيل من الشباب المصرى الجزائرى المؤمن بحريته ووطنه ودينه . وكان ذلك الجيل هو نواة جيش التحرير الجزائرى الذى خاض معركة المليون شهيد ، وحرر الجزائر من استعمار مدورام ١٣٢٠ ما . ولولا جهود جمعية العلماء المسلمين في الجزائر لكفاح رئيسها ابن بلديرو الابراهيمى لما قامت ثورة الجزائر في غرة نوفمبر ١٩٥٤ . ولولا الجيل الذى رماه البشير الابراهيمى ومعاونوه من علماء الجزائر ، لما استطاع شعب الجزائر ان يقدم للثورة وقودها من شباب محمد الذين انتظموا في قوافل لا عد لها ولا حصر ، بانلدين دماهم وارواحهم في سبيل الله وفي سبيل الوطن .

على الجانب المصرى العام وقف البشير الابراهيمى حياته على الذود عن حياض الصلوة والاسلام ، من الرباط غربا الى اندونيسيا شرقا ، ومن القرم والتركتان شمالا الى حضرموت جنوبا ولم يكن في يوم الايام اقليميا يعمل للجزائر وحدها او للشمال الافرقى وحده . ولم يكن عنصرها يدعو الى قومية ضيقة . بل كان انسانا واسع الافق كبير القلب نقي الضمير ، يدعو الى وحدة اسلامية تسبها بالضرورة وحدة عربية تقم على دعائم راسخة من الايمان بالله والايمان بهذه الامة التي شرفها الله بحمل رسالة الاسلام .

والبشير الابراهيمى الذى خبر دسائس الاستعمار وذاق من ويلات وجرائمه وحشيته ولم يترك فرصة تمر الا اهتبلها لتسخير قلمه ولسانه وطاقاته العديدة ، من اجل الدفاع عن الاقطار المصرية التي ابتليت بالاستعمار .

دافع عن حرية المغرب الاقصى ، وعن حرية تونس وليبيا ومصر وسوريا والعراق وفلسطين وكما دافع عن مسلمي الهند وروسيا والصين ، وهاجر الابراهيمى معارك الكفاح والتحرير التي خاضتها الامة المصرية من محيطها الى خليجها . عاش احداث الصلوة والاسلام وتفاعل معها وانفصل بها . دعا الى الاتحاد والوحدة ، وندد بالانقسام والفرقة ، افحم الغرب المستعمر وابطل دعواه وانكساره عربة الشمال الافرقى وكونه من صميم ديار الصلوة والاسلام .

وتفنى الابراهيمى بالازهر واثره في الثورات المصرية المتتابة وفضله على العالم الاسلامى ودعا الى تطوير التعليم في الازهر ليترافق بين علم الدين وبين علم الدنيا ، ويبنى ابناءه لان يكونوا رجال دين ودنيا .

ولفلسطين من كفاح الابراهيمى سدم وافر . فقد اعتبرها قضية الحرب والمسلمين الاولى ، وصفيكلة المشكلات في العصر الحديث . نبه لاخطار الصهيونية وحذر من الاغيب اليهودية العالمية وكرها وخداعها قبل ان تقع البازمة . وحين ضاعت فلسطين اصيب الابراهيمى بهرج لم يندمل ابدا . وبكائها دما ، وندد بالمرء والمسلمين الذين فرطوا في الامانة وما استطاعوا نيل شرف حماية بيت المقدس من الغزو البلبيبي الجديد ، الذى تستمر في هذه المرة من وراء راية صهيون . ولا غرابة في هذا ، فالابراهيمى كان يرى ان فلسطين احق بالحماية والرعاية من الجزائر ووطنه الاول . وكان يرى ان بيت المقدس جزء من الدين الاسلامى ، وواجب الدفاع عنه فرغ عين على كل مسلم وصلمة .

ولم ترضه الامة الابراهيمى بالاطلاع على المشكلات المصرية الاسلامية والاسلام في حلها وهو جالس في وانه الاول الجزائري ، وانما رحل الى المشرق العربى والمشرق الاسلامى اكثر من مسرة زار بلاد العرب والمسلمين وهاجر في سوريا ومصر من اجرا في سبيل الله متبعدا عن ظلم الفرنسيين . زار فلسطين والحجاز وتركيا وافغانستان وباكستان واندونيسيا وايران . وكان في جميع اسفاره داية خير وسحبة وتفريق ووحدة . فرق في علاقاته بين شعوب الاسلام وبين حكماها ، قاحب الولى وسى ونذل في سبيلها من علمه وفضله وصحته ، وتعالى على الحكام الذين يسرون في ركاب المستعمر عدو العرب والاسلام ، ولم يتوان عن لومهم وتوجيه النقد لهم وتبصيرهم بماقية ذلهم وخيانتهم . وكان الابراهيمى في حله وترحاله يعرف العرب والمسلمين في مشرق الارض ومغربها ، بحقيقسمة الماساة الجزائرية ، فعرف الناس الجزائر بعالمها وسفيرها الابراهيمى .

وفي السنوات التي قضاها الابراهيمى في مصر ، سمعت بان اكون من تلاميذه الذى نبلوا من غزير علمه وتبصروا من كرم اخلاقه . عرفته في اطوار متباينة من مر الحياة وحلوها ، واشهد

بانه كان على الدوام ذلك الامام العملاق الذي لا تهمزه احداث الحياة ولا تفت في عضده او تنسأل من عزيمته وقوة ايمانه .

ولقد تورق الابراهيمى جباذه وكفاحه في تأييده المطلق للثورة الجزائرية . ومنذ اليوم الاول لاندلاعها ، اوقف الابراهيمى نشاط الجمعية وامر جميع اتباعه وانصاره وتلاميذه ومريديه وهم يشكلون خلاصة الشعب الجزائري ، بتأييد الثورة والالتحاق بكتائب الجهاد .

وفي احتفالات عيد النصر التي اقيمت في الجزائر اول نوفمبر ١٩٦٢ ، رايت البشير الابراهيمى في احسن ساعات حياته واعظمتها . لقد ام جموع المسلمين التي احتشدت لاداء صلاة الجمعة في مسجد كشافة الذي حوله الاستعمار الفرنسي الى كاتدرائية وظل كذلك طوال مدة الاحتلال الذي دام ١٣٢ ، الى ان عاد الحق لاهله بعد انتصار الثورة .

والقى الابراهيمى خطبة الجمعة مكتوبة على غير عادته ، وكان واضحا ان المناسبة العظيمة قد عززته وفرضت على شيخوخته الجليلة ان يسجل ما كان يجول في خاطره على الورق . وجاءت الخطبة درسا وفيها في السياسة والتاريخ والدين لا تعالي فيها ولا شماتة ، وقد لخصت الخطبة تاريخ الجزائر بما فيه من دروس وعبر ، وعبرت عن فرحة الحاضر وآمال المستقبل . وكانت في نظري خطبة وداع فاء بها فارسها لم يزل ، اثقلت كاهله العلة وارهمته تبعات الجهاد الطويل . وكنت وانما استمع الى خطبته ترن في اذني كلمات البطل اسامة بن المنقذ :

مع الثمانين عات الدهر في جلدي	وسا مني ضعف ساقي واضطراب يدي
فان كئيب فخطي جد مضطرب	كخط مرتعش الكفين مرتعد
فاجب لضعف يد عن حملها قلما	من بعد حطم القنا في لبة الاسد

على ان الجهاد الذي كان ياديا على الشيخ البطل لم يحجب عنا ابتسامة الرضى واشراقه فرحة الحمر التي كانت تنفذ الى اعماق الجماهير الملتفة من حول الشيخ فتفهم تفسيرها :

من عاش بعد عبده يوما فقد بلغ الضنا

وبعد هـ . فاني لا استطيع في هذه الكلمة القصيرة ان ادون جزءا يسيرا من تاريخ الشيخ البهائم البشير الابراهيمى ، لان تاريخه يحتاج للاحاطة به الى مؤلف خاص تدون فيه اعماله ومفاخره ومآثره وطولاته وتضحياته .

اما خسارة الصروة والاسلام بفقد البشير الابراهيمى فمظيمة لا يعوضها الا الله القادر على هداية شباينا ودفعهم الى ترسم خطاه والسير على نهجه .

رحم الله شيخنا العزيز واسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .
عن اولئك رفيقا .